

## نماذج من الزوايا في ليبيا ودورها التاريخي

هذا البحث للنشر استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراة في الفلسفة

هاجر الطيب الطاهر عمران

إشراف

أ.د. كوكب أحمد مصطفى عامر

أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية البنات  
جامعة عين شمس



## نشأة الزوايا وتاريخها:

أ. زاوية شهاب الدين أحمد الزروق بمصراتة.

ب. زاوية محمد بن شعيب الأبشاش بالزاوية.

## المقدمة :

إن موضوع الزوايا في ليبيا والدور الذي قامت به في مواجهة الاستعمار الإيطالي والتصدي له من قبل الصوفية المجاهدين أتباع الطرق الصوفية لهو موضوع جدير بالدراسة لما لعبته تلك الزوايا في القرن الماضي من دور عظيم لتحرير ليبيا من الاستعمار الإيطالي، فالزوايا الصوفية المنتشرة في الصحراء الليبية هي بمثابة مساجد وبيوت لدراسة اللغة العربية والعلوم الدينية، ودور لاستضافة الغرباء والمساكين، وبها أيضاً مخازن للمؤن وتتبعها أراضي زراعية وآبار جوفية.

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أهمية هذه الزوايا والدور الذي قام به أصحابها، فهم الكتيبة العربية الإسلامية التي تصدت في شمال إفريقيا للاستعمار الأوربي. هذا إلى جانب دور الزوايا الفعال في الإصلاح الديني والاجتماعي والعلمي والتربوي والعسكري، فقد ساهمت الزوايا بشكل عام في حركة اليقظة العربية الإسلامية، حيث كفت منابر العلم والجهاد.

كما تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور الزوايا في الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية، حيث كفت الزوايا منابر العلم بقصدها الصغار والكبار لتعلم اللغة والعلوم الدينية على يد رجال الصوفية وسلكي الطريق.

ولولا الجهود الكبيرة التي بذلها رجال الطرق ومشايخ الصوفية، لقضى الاستعمار على اللغة العربية والعلوم الإسلامية في المغرب العربي، لذلك فإن الزوايا في المغرب العربي عامة، وفي ليبيا خاصة تستحق المزيد من الدراسة فهي لم تحظ بدراسة تفصيلية، وهذا ما دفعني لعمل هذا البحث الصغير عن نماذج من الزوايا في ليبيا.

وقد انتهجت في هذه الدراسة المنهج التحليلي لتحليل دور هذه الزوايا، وإبراز مجهوداتها، وقد اعتمدت كذلك على المنهج الوصفي لوصف أهم الزوايا في ليبيا وأثرها في المجتمع.

وقد رأيت أن أبدأ البحث بعرض تاريخي للزوايا في ليبيا، وعلى وجه التحديد زاوية شهاب الدين أحمد بمصراتة، وزاوية شعيب بالزاوية، وتوضيح نشأة هاتين الزاويتين ووصفهما والدور التاريخي لهما، وفي خاتمة البحث سأجمل النتائج التي توصلت إليها في الخاتمة، ومن ثم ملحق بصور لهذه الزوايا ومرافقها، ثم المصادر والمراجع والفهرس.

والله ولي التوفيق

## نشأة الزوايا وتاريخها:

لا يمكن الحديث عن الزوايا الصوفية ودورها التاريخي في التربية والتعليم وأثره في السياسة ومحاربة الاستعمار دون الإشارة إلى ما قامت به دولة المرابطين في المغرب في القرن الخامس عشر الميلادي على يد المجاهد عبد الله بن ياسين، فقد كان لدولة المرابطين دورها في الحياة الروحية وجهادها ضد الاستعمار والدفاع عن كيان المسلمين في الأندلس وشمال إفريقيا<sup>(259)</sup>.

انطلقت حركة المرابطين من مبادئ صوفية، وهي حماية الإسلام والجهاد في سبيل الله، فقد انتشر الإسلام في شمال إفريقيا (المغرب العربي) ومنها إلى جنوب الصحراء الإفريقية على يد الصوفية. إن الذين أقاموا أربطة، أي أقاموا في مكان ولازموه، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)<sup>(260)</sup>، وجعلوه مقراً لهم لنشر الدين الإسلامي والحفاظ عليه من الانقراض في غرب إفريقيا وعملوا على حماية اللغة العربية أيضاً من الانقراض، في ظل جهود الاستعمار للقضاء على اللغة العربية، لذلك سُمي هؤلاء بالمرابطين، لقوله تعالى: (وَأَعِزُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِيبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)<sup>(261)</sup>، لأنهم كانوا حريصين على نشر الإسلام وعاملين على مد حدوده والعودة به إلى قوته ومجده<sup>(262)</sup>.

لقد كانت الزوايا الصوفية هي التيار الجديد الداخِل إلى الإسلام والمتفاعل معه والمحافظ عليه من التدهور والاضمحلال، والدرع الواقعي من كل حركة زندقية تحاول الإساءة إليه وتشويهه، وهذا ما أكده الدكتور كامل الشيبني: إذ يرى أن التيار الصوفي في الإسلام يتبنى اتجاهاً روحياً، يحاول أن يجعل منه منهجاً يتفاعل مع شتى نواحي الحياة الإسلامية، وقد حاول التصوف أن تكون له فلسفة تربوية تقوم على إعلاء الجانب الديني المثالي، على صور تتمثل في العيش حياة روحية منظمة.

لقد حاول أوائل الصوفية تأسيس مدارس لهم لتعليم الدين واللغة بصورة علمية، ومن هنا كان أول رباط صوفي أنشئ في الرملة بالشام في منتصف القرن (الثاني الهجري/ الثامن الميلادي)<sup>(263)</sup>، إذ نجد الدكتور الشيبني يقول في مكان آخر أن التصوف حاول الاستقلال الفعلي عن أصحاب المدارس الفكرية الأخرى في المجتمع الإسلامي، كالفقهاء والفلاسفة والمتكلمين، وعلى هذا الأساس نشأت الطرق الصوفية<sup>(264)</sup>. كان للرباط أيضاً هدف حربي في عهد المرابطين تطور في ما بعد ليصبح مؤسسات ومراكز علمية فيها حلقات دراسية، إضافة إلى طابعه العسكري، حيث كانت عبارة عن تكتلات عسكرية، يجتمع فيها المسلمون المجاهدون لحماية البلاد ودراسة أحوال الشعب.

وهنا اتسع مدلول كلمة (الرباط) وتحول من مفهوم العبادة والذكر ليشمل مفاهيم سياسية وثقافية واجتماعية، وقام المرابطون بنشاط واسع المدى لنشر الإسلام في غرب إفريقيا والأندلس، ومحاربة الوثنيين والغزاة، وتشجيع العلم والعلماء، وسار على منوالهم الموحدون<sup>(265)</sup>.

لهذا اشتهر أمر الزوايا والأربطة في المغرب العربي، فالتصوف المغربي كان أقوى تأثيراً في العالم الإسلامي، فكان من الطبيعي أن يفكر متصوفة المغرب وعلماءه في الهجرة في القرنين السادس<sup>(\*)</sup> والسابع الهجريين إلى القاهرة التي وجدوا فيها تربة خصبة لنشر أفكارهم الصوفية.

إن المهتم بالحياة الصوفية في المغرب العربي يجد أنهم أسسوا الرباطات التي زاد عددها على عشر آلاف رباط في المغرب العربي، كانت جميعها تدعو إلى التصوف والجهاد والمحافظة على الإسلام.

(259) مصطفى أحمد ميسي: دور الصوفية في التربية والتعليم وتأثيره في السياسة الوطنية، ص 478، أعمال ملتقى التصوف الإسلامي، جمعية الدعوة الإسلامية، 1995، ط 1.

(260) سورة آل عمران: الآية 200.

(261) 8 سورة الأنفال: من الآية 60.

(262) مصطفى أحمد ميسي: أعمال ملتقى التصوف الإسلامي، ص 478.

(263) كامل مصطفى الشيبني: صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي، ص 171، بيروت، دار المناهل، 1997، ط 1.

(264) نفس المرجع، ص 172.

(\*) هم فرق دينية قبل أن يصبحوا ذللاً، وقد قدموا جهوداً كبيرة لحماية الإسلام من خطر إسبانيا المسيحية، فالمرابطون دولة أساسها (يوسف بن تاشفين)، وسارت على نهج إسلامي خالص، الجهاد والتوحيد، والموحدون دولة أساسها (محمد بن تومرت) دعت إلى الإصلاح الديني والتعليم في المغرب الإسلامي، انظر: الفردبيل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ص 227 - 249 - 264، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بنغازي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1969.

(265) انظر: مصطفى أحمد ميسي: أعمال ملتقى التصوف الإسلامي، ص 478.

(\*) القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، منذ هذا القرن جعلت التطبيقات العملية التي نادى بها التصوف، مبادئ وملاحج أولى للطرق الصوفية، انظر: كامل مصطفى الشيبني: صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي، ص 173.

كان التصوف في فترة من الفترات التاريخية يتسم بطابع العبادة وتلاوة الأذكار والتهجد والمجاهدات النفسية فقط غير أن الحركات الصوفية المعاصرة حولت هذه الطاقات الخلاقة للمشاركة في الحياة والتصدي لأعداء الإسلام من المستعمرين الذين استهدفوا الإسلام وما يحمله.

وانبرت فئات كثيرة لمقاومة الاستعمار في ليبيا والجزائر وتونس وبلاد الشام، كلها يحدوها إيمان تربوي صوفي كامل<sup>(266)</sup>.

ومن هنا نجد أن الطرق الصوفية وجدت قبولا عظيما في بلاد إفريقية شمالا وجنوبا، ففي المغرب إلى جانب الشاذلية نجد الجازولية والتيجانية والدرقاوية والحبيبية والعيساوية، وفي الصومال وأريتريا نجد القادرية، وفي تركيا واوراء النهر نجد الشيبانية والطيفورية والبسطامية، وكذا صارت هذه الطرق وزواياها وشيوخها وحدة اقتصادية اجتماعية تعمل باستمرار على مد وتوسيع مجالها<sup>(267)</sup>.

من الواضح أن الزوايا لا تزال مؤسسات دينية عرفت في المغرب وتونس والجزائر وليبيا تستقبل طلاب العلم للتفقه في الدين وعلوم اللغة، ولما كانت الزوايا هي المراكز العلمية التي أنشأها المسلمون لخدمة الإسلام والدعوة إلى التمسك بمبادئه، فقد أولتها الحكومة الليبية بعد الاستقلال اهتماما كبيرا مما دعمها ويسر لها العمل لبناء الإنسان المسلم وجعله فردا صالحا يخدم نفسه وبلده ودينه، فلم يُعد التصوف يحرص أتباعه على (الخلوة) في مكان منفرد، بعيدا عن الناس، وإنما صار مشايخ الطرق الصوفية يخالطون الناس ولهم دورهم في تربية النشأ وعامة المسلمين تربية دينية، واهتموا بتحفيظ الأطفال والكبار القرآن الكريم بعد تعليمهم القراءة والكتابة،

### وستحدث أولا عن زاوية شهاب الدين أحمد بن زروق.

#### أ- زاوية شهاب الدين أحمد بن زروق:

توجد هذه الزاوية بمصراتة، وهي ثالث كبريات المدن الليبية بعد مدينة طرابلس ومدينة بنغازي في الشرق، والمطلّة على البحر الأبيض المتوسط شمالا، فكان مؤسس الزاوية هو الشيخ أحمد عبد الرحيم، تلميذ الشيخ شهاب الدين وبعد وفاته بعشرين سنة<sup>(268)</sup>.

وكان الشيخ أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي<sup>(\*)</sup> بن زروق، وهو إمام صوفي وفقهه، ولد يوم الخميس الموافق الثاني والعشرين، من محرم سنة 846 هـ الموافق 7 يونيو 1442م، وقد سميت الزاوية باسمه، قال عنه الدكتور علي فهمي خشيم: "الإمام الفقيه والصوفي المولى الصالح العارف بالله، المشهور شرقا وغربا، ذو التصانيف العديدة والمناقب الحميدة والفوائد العديدة ....."<sup>(269)</sup>، وتوفي الإمام شهاب الدين بعد حياة زاخرة بالعبادة في الثامن عشر من صفر سنة 899 هـ، الموافق 1486م، ودفن بزوايته بمصراتة واستخلف بعده الشيخ شمس الدين اللقاني<sup>(270)</sup>.

#### من أهم مؤلفات الشيخ زروق:

للشيخ زروق الكثير من المؤلفات منها: "الرسالة والإرشاد" و"شرح مواضع مختصر الخليل"، و"القرطبية"، و"شرح الأسماء الحسنى"، و"المراصد لشيخه بن عقبة الحضرمي"، و"النصيحة للكاية ومختصرها، وغيره.

#### الطريقة الزروقية:

وهي طريقة صوفية سنية أجمع المؤرخون للطرق الصوفية على أنها تابعة للطريقة الشاذلية، وقد كان الشيخ أبو الفضل شهاب محبا للشاذلية وشارحا لمؤلفات أصحابها، إذ اعتبرها أقرب الطرق إلى الله تعالى، فكان متمسكا بالأصول الشاذلية<sup>(\*)</sup> الخمسة والتي هي:

- 1- تقوى الله في السر والعلانية.
- 2- اتباع السنة في القول والعمل.
- 3- الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار.
- 4- الرضا عن الله في القليل والكثير.
- 5- الرجوع إلى الله تعالى في السراء والضراء<sup>(271)</sup>.

(266) حسين مؤنس: الطرق الصوفية وأثرها في نشر الإسلام، ص25، مكتبة الثقافة الدينية، 2000، ط2.

(267) نفس المرجع، ص25.

(268) انظر. علي فهمي خشيم، أحمد الزروق والزروقية، ص183، بيروت، دار المدار، 2002، ط3.

(\*) برنس بنون مضمومة نسبة إلى غرب المغرب، الذين كثروا يسمون بهذا الاسم، انظر. عبد الرحمن العياشي، الأنوار المسينية على الوظيفة الزروقية، ص265، طرابلس، مكتبة النجاح، 1966، ط2.

(269) علي فهمي خشيم: أحمد زروق والزروقية، ص27.

(270) أحمد حامد عبد الكريم: الطبقات المروسة الشاذلية ومناقب عبد السلام الأسمر، ص75، مكتبة زهران، 1980.

(\*) الشاذلية: ظهرت في المغرب، وانتقلت إلى مصر، ومن مصر إلى أقطاب إسلامية عدة، انظر. أبو الوفا التفازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص291، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1976، ط2.

كما كانت الطريقة الزروقية تتمسك أيضاً بمبادئ الطريقة القادرية وتعاليم شيخها عبد القادر الجيلاني (\*) وهي:

- 1- علو الهممة.
- 2- حفظ الحرمة.
- 3- حسن الخدمة.
- 4- نفوذ العزيمة.
- 5- تعظيم النعمة.

وكان الشيخ أحمد زروق يرى أن:

- 1- من علت همته ارتفعت مرتبته عند الله.
- 2- وأن حفظ حرمة الله حفظ الله حرمة.
- 3- ومن حسنت خدمته وجبت كرامته.
- 4- ومن عظمت النعمة في عينه شكرها، ومن شكرها استوجب المزيد حسب ما وعد (272)، ويضاف إلى هذا من أنه كان لزروق سلمتان تصله الأولى بالشيخ أبي الحسن الشاذلي، والثانية بالشيخ عبد القادر الجيلاني (273).

يبدو الأمر واضحاً أنه ما من طريقة إلا ولها زاوية (\*) تعليم وهي في الوقت نفسه مقر للشيخ وبزعامة، فما تميزت به زاوية الشيخ شهاب بأنها كانت تعج بالنشاط والحركة والعمل العسكري والعمل، على عكس ما قد يتبادر للذهن من أن هذه الزوايا مكان للمتواكلين الذين يتقاعدون عن العمل، ويلجأون إلى التكايا، أو الخانقوات، أو الزوايا لتوفير سبل العيش، ويتجه أهلها للعبادة فقط. كانت هذه الزاوية مركزاً لتجمع الصوفية المجاهدين وهي كتلة عسكرية للدفاع عن ليبيا ضد المستعمر الإيطالي حتى تحقق الاستقلال. هذا إلى جانب دورها في إصلاح المجتمع وتعليم وإرشاد طلبة العلم فكان لها رسالتها في وقت الحرب وفي وقت السلم. يقول الدكتور محمد شيخاني: "تحولت رباطات الشرق بعد أن انتهى تهديد الأعداء لها إلى حياة ملؤها الزهد والتشف والصلوات والأذكار إثر تطوّر التصوف فصارت هذه الرباطات زوايا صوفية" (274).

وقد كان للشيخ أحمد زروق إلى جانب زاوية مصراته وزاويتان أخريتان، واحدة في المغرب وأخرى في الجزائر بناها أتباعه (275).

تاريخ تأسيس الزاوية:

كانت زاوية الشيخ زروق في بداية إنشائها على يد تلميذه أحمد عبد الرحيم عبارة عن مسجد بجوار ضريح الشيخ زروق، وعندما كثر عدد الوافدين إلى المسجد والضريح، أقام تلاميذ الشيخ زاوية كبيرة وأطلق عليها زاوية سيدي أحمد الزروق، وكان ذلك بعد وفاته بعشرين سنة، ولا تزال هذه الزاوية قائمة حتى الآن وتُعدّ أحد المعالم الرئيسية في مصراته ومعهداً دينياً، وقد مضى على إنشاء زاوية زروق أكثر من أربعة قرون ونصف القرن، وهي بذلك تُعتبر أقدم المعاهد الدينية الليبية (276).

وصف الزاوية:

لهذه الزاوية معالمها، التي تميزت بها عن غيرها، حيث بها ضريح للشيخ الزروق أحيط بممرور الزمن بطائفة من الأبنية، بها غرفة للصلاة ومحراب، وتعلو تلك الأبنية ذات الطابع الإسلامي مئذنة لها دلالة زمرية صوفية، على الرغم من كتلتها الحجرية الضخمة، إلا أنها تشكل مع القبة تشكيلاً جمالياً حين يتجاوزان

(271) انظر. أحمد التقيتدي الخالدي: جامع الأصول في الأولياء وأوصافهم، ج 1، ص 47 - 48، تحقيق أديب نصر الدين، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، 1970، ط 1.

(\*) الجيلاني: نسبة إلى جيلان من (طبرستان)، وهو صاحب الطريقة القادرية التي ساهم في انتشارها الفعلي، أحفاده وتلاميذه من المعجبين بوعظه باعتباره أول من مارس التصوف في هذه الأسرة، ولا عبّاره الشيخ التاريخي لها، ومن مشايخ عبد القادر الجيلاني حماد الدياس وابن سعد الميارك، انظر للاطلاع: أحمد شهاب الدين القادري: سلطان الأولياء عبد القادر الجيلاني، ص 126، طرابلس، دار الكتب الوطنية، 1999، ط 1، وأيضاً: عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية وأعلام المنكرين عليه والطرق الصوفية، ص 13، مصر، دار الرشد، 1992، ط 1.

(272) انظر. أحمد التقيتدي الخالدي: جامع الأصول في الأولياء وأوصافهم، ج 1، ص 47 - 48.

(273) علي فهمي خشيم: أحمد زروق والزروقية، ص 158.

(\*) خاتمه، زاوية، تكية، منارة، انتقل الصوفية من إطلاق اسم الرباط على مدارسهم إلى جانب لفظ خاتمه الفارسي، وفي المعصور الأخيرة أطلقت عليه كلمة الزاوية، كما عند أصحاب الطريقة المنوسية. وكان الكاشية يسمون هذه المراكز بالكوايا، فما زال هذا الاسم يطلق على بعض المراكز الصوفية في الوقت الحاضر في المثليات الصوفية التركية والكردية، وفي ليبيا المعاصرة كلمة المنارة، انظر. كامل مصطفى الشبيبي: صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي، ص 171.

(274) انظر. محمد شيخاني: التربية الروحية بين الصوفيين والمسلمين، ص 309، دار قتيبة، 1995، ط 2.

(275) علي فهمي خشيم: أحمد زروق والزروقية، ص 181.

(276) نفس المصدر، ص 183.

ارتفاع المسجد لتتطرق فيه منمنة شاهدة، بينما تُعبر القبة عن التطلع إلى الداخل، فهي تبعث في النفس تعبيراً عن سمو الروحانية، فنظام الزوايا في المغرب العربي ظل محتفظاً بطابعه، إذ هو يُطلق على بناء أو طائفة من الأبنية ذات طابع ديني، نجد فيها غرفة للصلاة وبها محراباً وضريحاً، وغرف قصرت لتلاوة القرآن ومكتباً أو مدرسة لتحفيظ القرآن، ثم غرفاً مخصصة لضيوف الزاوية والحجاج والمسافرين<sup>(277)</sup>.

لقد قامت هذه الزاوية كغيرها من الزوايا الليبية بدور عظيم في مواجهة العدوان الإيطالي على ليبيا، وظلت صامدة تكافح المعتدي وتدعو إلى الجهاد في سبيل الله، ويُعد الشيخ رمضان أحمد أبو تركية أحد المجاهدين الذي وقف موقف الرجال الأبطال من قضية التجنيس بالجنسية الإيطالية، عندما طلب الإيطاليون من أهل البلاد التجنس بها، فقد جمع الإيطاليون أهالي مصراتة أمام قصر الحكومة وجيء بالشيخ رمضان أحمد أبو تركية وطلب منه الحاكم الإيطالي أن يصعد إلى أعلى قصر الحكومة ويخاطب الجماهير الرافضة للتجنس بالجنسية الإيطالية، تمسكاً بعروبتهم ووطنهم ودينهم، أن يتجنسوا بها ولا يعارض هذه القضية، فأبى الشيخ إلا أن يصعد ويخاطب الجماهير وطلب منهم الامتناع والمعارضة لهذه القضية التي لا تتفق مع العروبة والإسلام وتخالف حقيقتهم المصيرية الدينية منها والاجتماعية، فقال لهم: "لا توافقوا عليها ولو قتلوا منكم الثلث وجزأكم على ذلك الجنة"<sup>(278)</sup>.

وفي نفس الوقت تحاول الزاوية، ولا زالت، أن تبث القيم والأخلاق الإسلامية والحفاظ على الدين واللغة ونشر العلم<sup>(279)</sup>.

#### بـ زاوية ابن شعيب (الأبشات) بمدينة الزاوية:

تنفيذاً لما تم الاتفاق عليه من قبل أئمة وخطباء المساجد ومدرسي تحفيظ القرآن الكريم في احتفال بليلة القدر الذي أقيم بزاوية بن شعيب خلال شهر رمضان المبارك، شهر سبتمبر 1995م، بالإعلان عن فتح منارة بن شعيب والمنارات الأخرى بالمنطقة، تم فتح الزاوية والغاية بها وترميمها<sup>(280)</sup>. سنتناول في البداية مدينة الزاوية وزاويتها والفترة التاريخية التي أسست فيها زاوية بن شعيب وما يميز هذه الزاوية.

#### مدينة الزاوية:

تقع بين بلدية طرابلس في الشرق وبلدية النقاط الخمس في الغرب وبلدية الجبل الغربي في الجنوب والبحر الأبيض المتوسط في الشمال، وهي بين خطي طول 22 درجة شرقاً وخط عرض 32 درجة شمالاً، وتعتبر من المدن المكتظة بالسكان رغم محدودية مساحتها المقدره بنحو 4610 كم<sup>2</sup>، بحيث يسكنها نحو 250 ألف نسمة كانوا موزعين على أكثر من 110 قبيلة<sup>(281)</sup>.

يقول الدكتور محمد الطوير أن: "علماء الزاوية ومتصوفها كانوا وراء تسمية الزاوية باسم المرابطة وأرض الأولياء وأرض الصلاح، حتى قيل أن اسم الزاوية جاء من اجتماع هذا العدد من الأولياء فيها، والذي لا يوجد في غيرها من المناطق القريبة"<sup>(282)</sup>.

#### موقع زاوية بن شعيب:

تقع زاوية بن شعيب في شمال مدينة الزاوية، وتبعد عن وسط قرية الأبشات، والقرية أيضاً موطن قبيلة الأبشات بالزاوية الغربية، التي تقع إلى الغرب من مدينة طرابلس، وتبعد عنها حوالي 43 كم، ويوجد بها عدة زوايا أدت وما زالت تؤدي دورها التعليمي، وهذه الزوايا هي: زاوية أولاد جربوع، زاوية أبي عيسى العموري، زاوية أولاد سهيل، وزاوية لاغا في قرية عوزة وغيرها كثير<sup>(283)</sup>.

أما عن الفترة التاريخية التي أسست فيها هذه الزاوية، يقول الشيخ الزاوي عنها في كتابه "معجم البلدان الليبية" في ما نصه: "أسسها الحاج بن شعيب سنة 1215 هـ وأسس بها مسجداً يُقام فيه صلاة الجمعة، وعليه قبة كبيرة، يُقال لها زاوية الأبشات لأنها أسست في هذه القرية، وهي من أشهر الزوايا الموجودة في طرابلس، وأشهر من تولى فيها تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين الشيخ عبد الرحمن بن عز الدين في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، وكان من العباد المشهورين بالتقوى والصلاح"<sup>(284)</sup>.

(277) عبد الباسط بدرور: أقطار المغرب العربي وتحديات الغزو الثقافي العربي، ص213، منشورات كلية الدعوة الإسلامية،

2002، ط1.

(278) محمد عييلو: منارة شهاب الدين أحمد الزروق، ص602، أعمال ملتقى التصوف الإسلامي، جمعية الدعوة الإسلامية، 1995،

ط1.

(279) انظر. محمد شيخاني: التربية الصوفية بين الصوفيين والسلفيين، ص302.

(280) محمد عييلو: أعمال ملتقى التصوف الإسلامي، ص603.

(281) الراية الخضراء، الزاوية بين الماضي والحاضر، العدد 10، 1980، ص36.

(282) نفس المرجع، ص36.

(283) انظر. الطاهر أحمد الزاوي: معجم البلدان الليبية، ص105، طرابلس، مكتبة النور، 1968.

(284) نفس المصدر، ص105.

## وصف الزاوية:

تم بناء هذه الزاوية على شكل إسلامي بطابع مميز، حيث يوجد بها عدة غرف حول صحن كبير، وفيها مسجد للصلاة فيه محراب تعلوه قبة، ولها غرفة خصّصت لتلاوة القرآن وأخرى لإقامة الشيخ، ويوجد بها مدرسة حول الصحن لتحفيظ القرآن وتعليم اللغة العربية، أما الغرف التي حول الصحن فهي مخصصة لضيوف الزاوية وللحجيج والمسافرين، ويوجد بها أيضاً غرفة المكتبة، وأخيراً المرافق اللازمة للإقامة، غير أن هذه الزاوية ليس بداخلها ضريح<sup>(285)</sup>، ومن خلال زيارة ميدانية لهذه الزاوية وجدت أن ضريح صاحبها يقع إلى الجنوب من المدخل. وعند زيارة هذه الزاوية، يشعر الزائر بإحساس يسوده طابع روحاني، وسمع أصوات المريدون يقرؤون القرآن في خشوع بصوت جماعي تقشع له الأبدان من شدة الرهبة والإعجاب<sup>(\*)</sup>. بدأت هذه الزاوية في أداء مهمة التعليم بشكل عام، والديني بشكل خاص، وقد تخرج منها العديد من الأجيال، منهم قام بدور كبير في مختلف مناحي الحياة وساهم في "بناء ثقافة هذه البلاد، فكان منهم القاضى والكتّاب والمفتي والسياسي"<sup>(286)</sup>.

تطورت هذه الزاوية مع مرور الزمن، وأصبح يُدرس فيها القرآن، وألحقت بها حلقات العلم والفقه والشريعة واللغة والرياضيات، ففي عام 1942م التحق بها أساتذة مثل:

- 1- الشيخ عبد الرزاق البشتي.
  - 2- الشيخ عبد الرحمن البشتي والشيخ عمر العموري، وكنا يدرسان الفقه الإسلامي.
  - 3- الشيخ نوري الشمللي، وكان يدرس الرياضيات.
- وتلقى فيها العلم أهالي المنطقة والوافدين من المناطق المجاورة ومن الأقطار الشقيقة، ونبع فيها أساتذة وعلماء مثل:

- 1- الشيخ الطيب الطاهر، الذي تحصل في ما بعد على الشهادة العالمية في 1965.
- 2- علي الذيب.
- 3- مختار خمّاج.
- 4- أحمد البشتي.

ولا زالت حتى الآن تدرس القرآن وتخرج منها العديد من حملة كتاب الله<sup>(287)</sup>، وفي هذا الصدد يمكننا أن نقول أن صوفية هذه الزاوية هم رجال رأوا أنه لا يكفي القيام بحق الإسلام أن يهتم الصوفي بنجاة نفسه وخلّصها، ولا يكفي كذلك أن يعمل الشيخ ومريدوه بالنجاة بأنفسهم للوصول إلى الحق، بل لابد أن يدخل الصوفية ميدان العمل العمراني المستمر، فلا يبتعدون عن الناس أو يعيشون على هامش الحياة دون عمل، ولا يتركون أمة الإسلام دون قيادة إسلامية سليمة، فتجلى دورهم كصوفية عاملة على أداء دور اجتماعي ووطني، فقد حاول رجال الزاوية وغيرها من الزوايا الخروج من حياة الزهد والعبادة إلى حياة الجهاد في سبيل الله والوطن، فالمريدون بهذه الزاوية شاركوا إخوانهم المجاهدين في جبهة القتال ضد الطليان في مدينة العجيلات سنة 1917م وغيرها من المدن<sup>(288)</sup>.

مما سبق يمكننا القول بأن هذه الزوايا في مدينة الزاوية خرجت قوافل من الدعاة والعاملين بكتاب الله والمجاهدين في سبيله، فكأنوا مراكز إشعاع روحي وعلمي واجتماعي، ولا يقتصر الأمر على هذه الزاوية فحسب، بل على كل الزوايا بليبيا عامة والزوايا بمدينة الزاوية خاصة.

إن ذلك ليس بغريب عن مدينة الزاوية، فهي أرض المنة والخمسين ولياً منهم: الشيخ أحمد جربوع وضريحه على شاطئ (نبلة)<sup>(\*)</sup>، ولقب هذا الشيء بنادر العين، فكان من الذين وهبوا أنفسهم ليقوموا بحراسة شاطئ الزاوية ضد غارات الأوروبيين، ولذا لُقّب بذلك اللقب، حتى توفي من شدة البرد والحر وثُفن هناك ليكون ضريحه دليلاً على حب مسقط رأسه ووفاء لوطنه، وهذا إن دلّ على شيء فهو يدلّ دلالة واضحة أنه كان صوفياً مرتبطاً مدافعاً بالجدس والروح، تلك الثنائية الرائعة في سبيل وطنه وحماية الثغور<sup>(289)</sup>.

(285) الزحف الأخضر، زاوية بن شعيب، العدد2، ربيع 2003، ص11.

(\*) كانت هذه الزيارة في 2004/03/25م

(286) الطاهر أحمد الزاوي: معجم البلدان الليبية، ص105.

(287) أعمال ملتقى التصوف الإسلامي، زاوية بن شعيب، ص604.

(288) انظر علي عمر الهازل: زاوية بن شعيب، التاريخ والنشاط الاجتماعي منذ النشأة حتى نهاية الاحتلال الإيطالي، ص22، مركز

جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1995.

(\*) منطقة بمدينة الزاوية تقع شمالها على ساحل البحر الأبيض المتوسط وبها ميناء، ومنها دخل الإيطاليون إلى مدينة الزاوية.

(289) الراية الخضراء، الزاوية بين الماضي والحاضر، ص37.



ومن رجالات الزاوية أيضاً سيدي عبد الحميد المعروف بضي الهلال (المتوفى 905 هـ)، وسيدي أحمد بن عبد الله القمودي (المتوفى 984 هـ)، وسيدي سالم بن ظاهر الأنصاري (المتوفى 989 هـ)، وسيدي عمر بن عبد الرحمن القريوي (المتوفى 999 هـ) (290).  
يتضح مما سبق أن زاوية بن شعيب وزوايا أخرى بمدينة الزاوية، وهي نماذج من الزوايا في ليبيا، كانت لها دور تاريخي على الصعيد الاجتماعي والسياسي والثقافي، كما أن الزوايا الصوفية ذات الإطار النظري (\*) والعملي (\*\*) ظلت عاملة منذ نشأتها على الحفاظ على المجتمع من التصدع والانحيار، فخرج منها الصانع والمتعلم والمزارع والداعية والعامل على نشر الإسلام، وإعلاء كلمة الله، ومن الجدير بالذكر أن الخارج من هذه الزوايا يعمل في الإصلاح الديني والاجتماعي من خلال عقيدته الدينية القوية وإيمانه القوي تماشياً مع قول الله تعالى: (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ لَئِنْ عَاقَبْتَهُ الْأُمُورُ) (291)، فلم يكن جهادهم لكسب دنياوي، وإنما ابتغاء مرضاة الله تعالى.

## الخاتمة

من خلال هذه الدراسة يمكن استخلاص النتائج التالية:

- 1- الزوايا الصوفية بليبيا أدت دورها في نهضة الأمة التعليمية، وأسهمت في إعداد الأجيال للمشاركة في خدمة مجتمعاتها ووطنها، والتصدي لأعدائها، وخوض غمار الحروب جهاداً في سبيل الله، وإعزازاً لدين الله والمسلمين، فهي حاولت الخروج من حياة الزهد والعبادة فقط إلى حياة الجهاد في سبيل الله والوطن من كونها عاملة على أداء وظيفة لها في المجتمع إلى مجاهدة في سبيل الله والوطن، وهذا رد عملي على الفكرة المسائدة عن الزوايا الصوفية التي يظن البعض يبعدها عن الحياة، والمشاركة في أمال المجتمع والأمة، ولم تكن كما صورها بعضهم حياة القاعدين المتواكلين، وإنما كانت حياة العباد الصالحين والذاكرين القانتين وحياة العلماء المعلمين المجاهدين والمصلحين الاجتماعيين.
- 2- حاولت هذه الزوايا إبراز الدور الحضاري الإنساني للحضارة الإسلامية بما يتضمنه من تراث خالد، وفكر إسلامي خال من الشوائب من خلال ربط الدراسة بالزاوية بثقافة الفنون العربية والإسلامية.
- 3- تصدت هذه الزوايا إلى خركات التنصير والدعوات الهدامة والتشويه المتعمد للإسلام والمسلمين، وفصح حقيقة الزندقة والمارقين ومن يدعون الأصولية بقصد تحقيق أهداف سياسية وطموحات شخصية.
- 4- حاولت هذه الزوايا رسم صورة للطريق الصحيح والسير فيه، محاولة من خلال مجتمعها الصغير داخل الزوايا، إبراز مظاهر التمسك، الاستقرار، التكافل، والعمل بأخلاق الإسلام الذي يحتاجه عامة المجتمع.
- 5- تنظم الحياة الاجتماعية والفكرية في الزوايا يمزج الأفكار الصوفية بحاجة المجتمع ومستلزمات تقويمية مستهدفة تثبت المثل الأخلاقية والعلاقات الطيبة وتوسع الاهتمام بالأمور الروحية، كان إنجازاً حضارياً لا يقل في أهمية عطائه عن بقية المؤسسات الدينية والثقافية في الحضارة الإسلامية.

وفي نهاية هذه الختمة، لا يسعني إلا أن أقول أن أصحاب الزوايا كانوا ولا زالوا مدارس تربوية إصلاحية، حاولوا أن يضعوا ومن خلال أسلوب حياتهم المنظم منهاجاً إصلاحياً، ولأجل ذلك كان تأثيرهم في المجتمع كثيراً اجتماعياً روحياً وديناً، إذ عوا بتهديب الضمير واتزان السلوك وتنظيم الحياة الإنسانية كلها. وبعد، فلا ادعي كملاً في ما كتبت، ولكن حسبي من ذلك ما بذلت من جهد لم أدر فيه وسعاً، فإن كان صواباً فمن الله، وبالله الحمد، وإن كان خطأ فمني واستغفر الله تعالى مما زل به القلم أو أخطأ به اللسان.

(290) أحمد حامد عبد الكريم: الطبقات العروسية، ص 82 - 83 - 84.

(\*) النظري: أي ما تحمله الطريقة من أصول وأسس وآداب.

(\*\*) العملي: أي بمعنى الإطار والقالب الذي يستوعب تلك الأسس والأصول، بما فيها الشيوخ والأتباع، ألا وهي (الزاوية).

(291) سورة الحج: الآية 41.

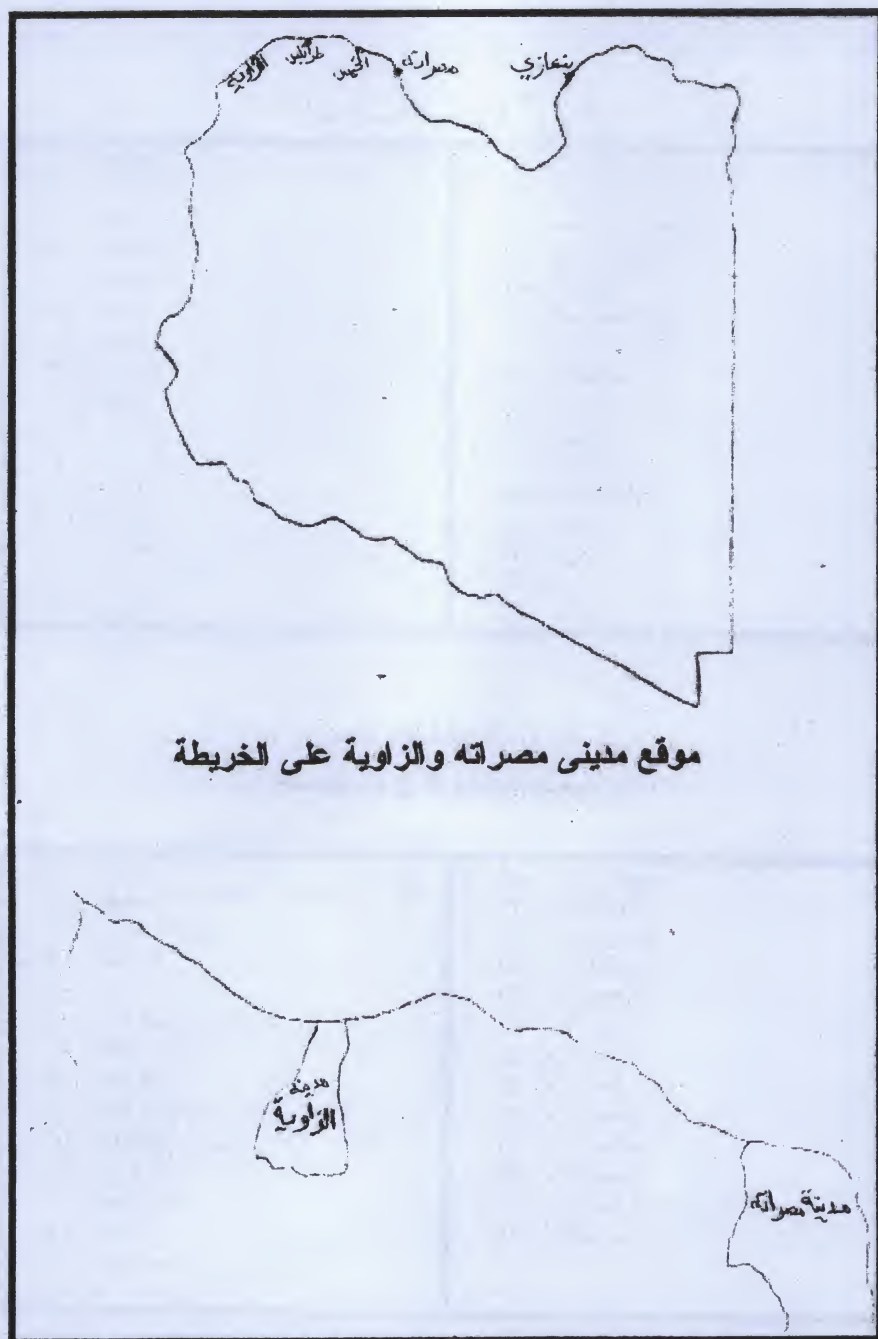
# الملاحق

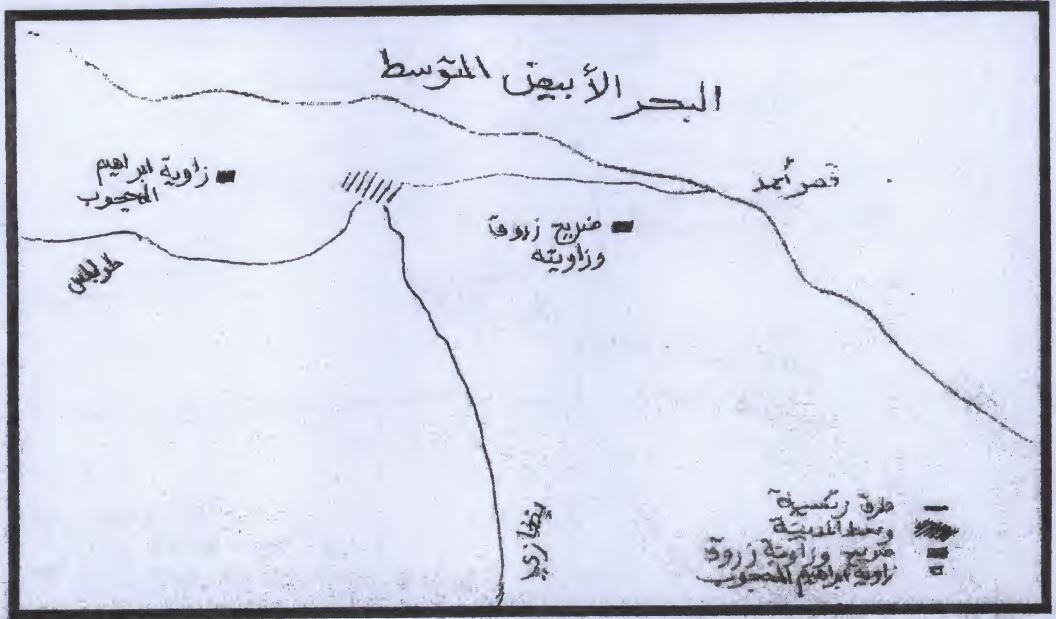
## بعض قبائل الزاوية المحيطة بزاوية زروق

1- سواوة.	17- الأسواك.
2- عبادة.	18- شطاشطة.
3- بدر.	19- قصر حمد البحري.
4- مغاربة.	20- خدام الزروق.
5- رملة.	21- دكيران.
6- دبابسة.	22- قصر حمد القبلي.
7- شحوم.	23- هبارة.
8- سواحدة.	24- المحجوب.
9- شتاونة.	25- زوابي.
10- مقارنة.	26- صوالح.
11- رأس علي.	27- مقاصبة بحري.
12- قرارة.	28- مقاصبة قبلي.
13- فراطسه.	29- سواطي.
14- سراكسة.	30- غيران.
15- أولاد بوشعالة.	31- قزير.
16- رويسات.	32- كرزاز.

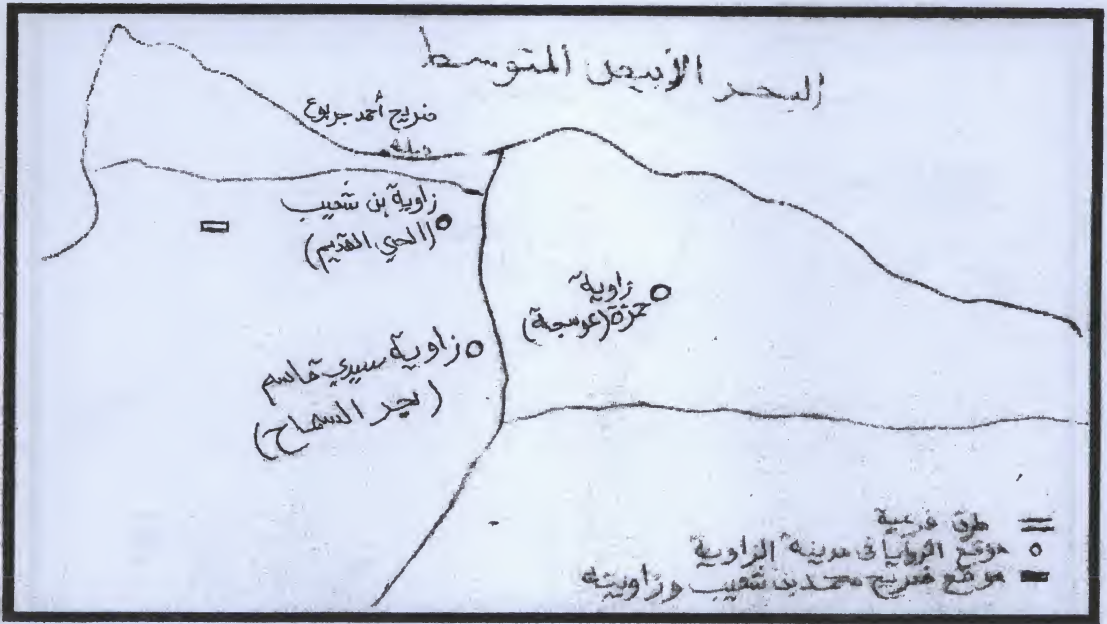
## بعض قبائل الزاوية المحيطة بزاوية بن شعيب

1- الإشراف.	16- أولاد بن مريم.
2- الأبشات.	17- أولاد بودلال.
3- محاميد الغربيين.	18- أولاد أبي شبيه.
4- اللسانية.	19- أولاد بالليل.
5- رنقة.	20- أولاد حماد.
6- أولاد نوير.	21- أولاد حوية.
7- النفاقرة.	22- أولاد سلمة.
8- القنيرات.	23- أولاد صقر.
9- أولاد صوله.	24- أولاد صالح.
10- أولاد المرموري.	25- أولاد سلامة.
11- المزوغة.	26- أولاد عطية.
12- الحارارات.	27- أولاد عمارة.
13- الخطرة.	28- أولاد موسى.
14- أولاد سعود.	
15- أولاد عبيد.	



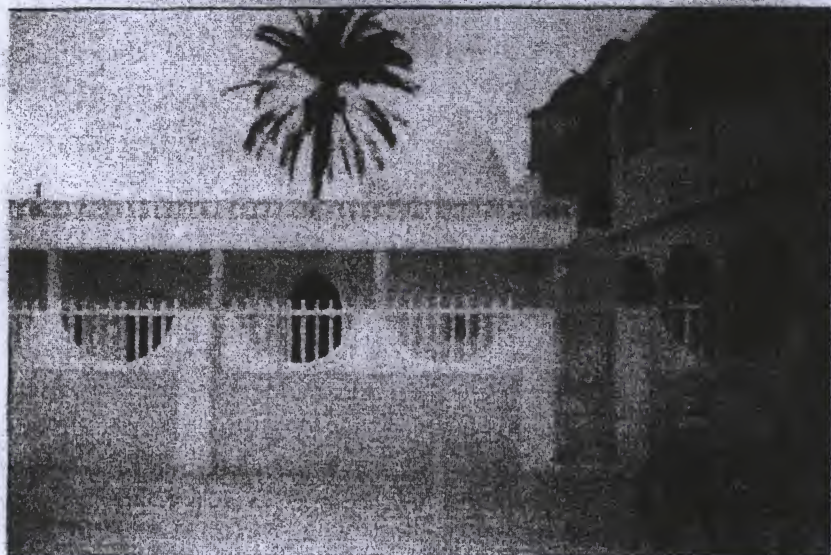


موقع ضريح زروق وزاويته بمدينة مصراته وإلى الغرب من مدينة مصراته تقع زاوية سيدي إبراهيم المحبوب بحوالي خمسة عشر كيلو متراً مربعاً

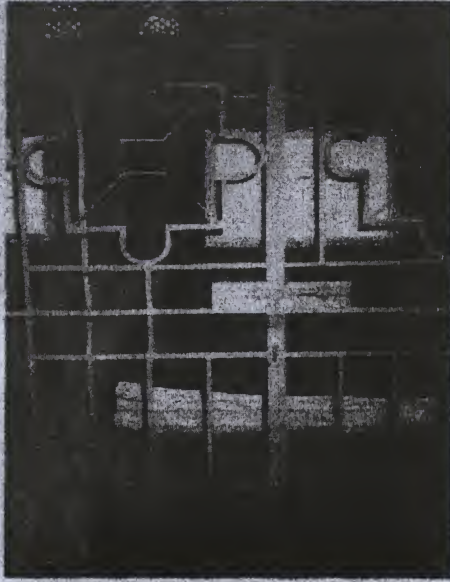
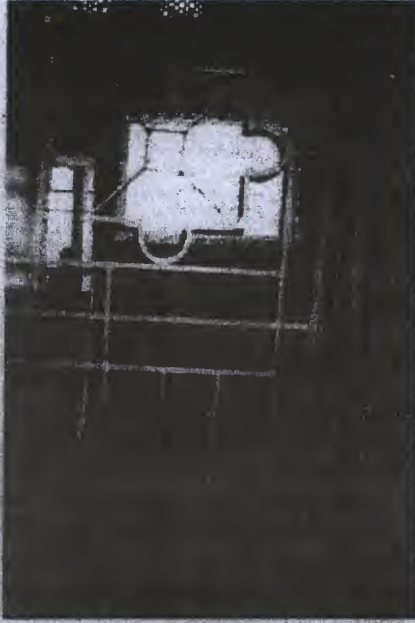


موقع زاوية بن شعيب بين غيرها من الزوايا  
 علماً بأن هذه الزوايا بمدينة الزاوية تقع على الطرف الشمالي  
 للساحل وإن بعدت قليلاً نحو الداخل



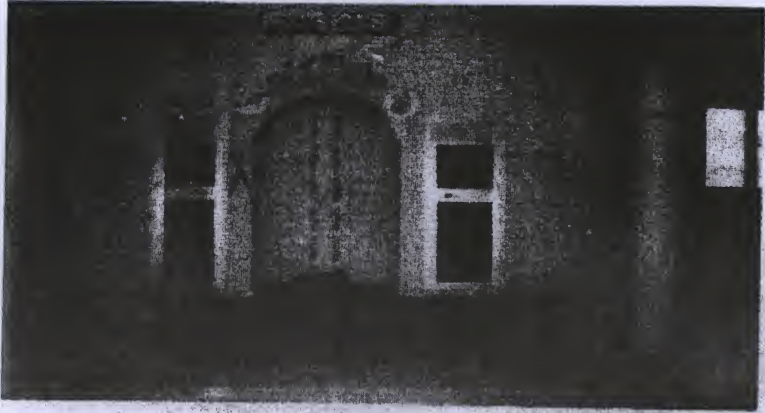


شكل الزاوية من الخارج كما هو عليه حالياً

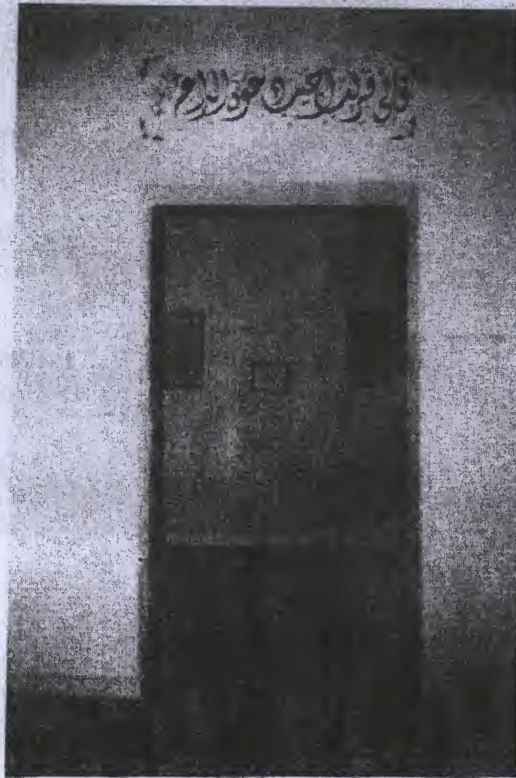


رفيق الشيخ زروق على منصور أحمد البجاني رافقة من بلدة بجاية  
في الجزائر حتى وفاته





الجامع الذي بداخله ضريح زروق ، الواضع لأسامه تلميذ الشيد  
زروق ( أحمد عبد الرحيم )



إحدى الغرف ( بداخل الزاوية )



شكل الزاوية من الخارج





الزاوية من الداخل وبعض طلبة العلم بداخلها



صحن الزاوية الداخلى



بهو الصحن الرحب يضم بيوت ذات أقواس هلالية يراجعون فيه  
الطلبة ما حفظوه من اللوح

## المصادر والمراجع

## القرآن الكريم :

- 1- أحمد حامد عبد الكريم الشريف: الطبقات العرسية ومناقب عبد السلام الأسمر، مكتبة زهران، 1988.
- 2- أحمد شهاب الدين القادري : سلطان الأولياء عبدالقادر الجيلاني، طرابلس، دار الكتب الوطنية، 1999، ط1.
- 3- أبو الوفا التفتازاني (الدكتور): مدخل إلى التصوف الإسلامي، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1976، ط2.
- 4- أحمد النقشبندى الخالدي: جامع الأصول في الولياء وأوصافهم، تحقيق أديب نصر الدين، بيروت مؤسسة الانتشار العربي، 1970، ط1.
- 5- حسين مؤنس(الدكتور): الطرق الصوفية وأثرها في نشر الإسلام، مكتبة الثقافة الدينية، 2000، ط1.
- 6- كامل مصطفى الشبيبي(الدكتور): صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي، ص171، بيروت، دار المناهل، 1997، ف، ط1.
- 7- عبدالباسط درودر (الدكتور): أقطار المغرب العربي وتحديات الغزو الثقافي العربي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 2002، ط1.
- 8- عبد الرحمن العياشي: الأنوار السنية على الوظيفة الزرقية، طرابلس، مكتبة النجاح، 1966، ط2.
- 9- علي عمر الهازل : زاوية بن شعيب التاريخ والنشاط الاجتماعي منذ النشأة حتى نهاية الاحتلال الإيطالي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1995.
- 10- علي فهمي خشيم(الدكتور): أحمد الزروق والزرقية، بيروت، دار المدار، 2002، ط3.
- 11- مصطفى أحمد سيمسي، دار الصوفية في التربية والتعليم وتأثيره في السياسة الوطنية، أعمال ملتقى التصوف الإسلامي، جمعية الدعوة الإسلامية، 1995، ف، ط1.
- 12- محمد شيخاني (الدكتور): التربية الروحية بين الصوفيين والسلفيين، دار قتيبة، 1995، ط2.
- 13- محمد ميبلو : أعمال ملتقى التصوف الإسلامي، جمعية الدعوة الإسلامية، 1995، ط2.
- 14- أعمال ملتقى التصوف، زاوية بن شعيب، 1995، ط1.

## الموسوعات:

- 1- عبدالمعظم حنفي(الدكتور) : الموسوعة الصوفية وأعلام المنكرين عليه والطرق الصوفية، دار الرشد، 1992، ط1.

## الكتب المترجمة:

- 1- ألفريدبول: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بنغازي، دار ليبيا للطباعة والنشر، 1969.

## المعاجم :

- 2- الطاهر أحمد الزاوي : معجم البلدان الليبية، طرابلس، 1998.

## الدوريات :

- 1- الزحف الأخضر، زاوية بن شعيب، ع2، ربيع 2003.
- 2- الراية الخضراء، الزاوية بين الماضي والحاضر، ع10، فبراير 1980.